موقف السعودية من الحكم في سوريا

كانت هناك فرقة سورية عند إربد - المفرق. وثم جاء لواء سعودي وتمركز قربها، ولم يكن يفصل بينهما سوى شارع، والماء كان نزرا.. تساءل الضباط عن الغاية من هذا الأمر؛ ذهبوا الى شكري القوتلي، وكان هناك رئيس الأركان نظام الدين ومعاونه عزيز عبد الكريم وهو علوي، وأنا رئيس الشعبة الأولى والسراج رئيس الشعبة الثانية وأمين النفوري رئيس الشعبة الثالثة .

قال القوتلي - لا علم لي بذلك، أيمكن هذا؟ أهذا صحيح؟ أين يوسف ياسين لنسأله؟ (كان وزيرا للدفاع بالوكالة بالاضافة الى وزارة الخارجية في السعودية)

ولم يلبث أن دخل فسأله عن الأمر فأجاب بالايجاب وقال بأن الأمر ليس هاما وسيسحب اللواء (كانت هناك محاولات لشراء ضباط في الجيش من قبل السعودية وكنت على علم بذلك). قال القوتلي "وبهذه المناسبة أخبر الشباب بما كان من زيارة الملك سعود الى واشنطن". قال ياسين "الأمر يحتاج الى جلسة طويلة". قال رئيس الأركان نظام الدين "تفضلوا الى بيتي نتعشى ونتحدث". قلت للسراج والنفوري "دعوه يتبسط في الحديث، ان جابهناه فلن نفهم تماما ما يجري وما هو موقف السعودية، دعوني أنا وحدي أتحدث معه"..

في اليوم التالي جاء وقال "دعونا نتفاهم". "على ماذا نتفاهم؟" "على هجماتكم على أميركا. بماذا أساءت لنا أميركا؟ صحيح هي عندها أغلاط، ولكنها ليست الى الدرجة التي نشن حربنا عليها. انكم مثلا تشترون أسلحتكم من الاتحاد السوفياتي وترتبطون به أكثر وأكثر، وتفزعون أميركا بهذا التصرف وهي ترى نفوذ السوفيات يقوى في المنطقة." "من أين نشتري السلاح اذن؟ نحن على قناعة أن أميركا لا تبيعنا سلاحا". "بل تبيعكم" "هل تضمن لنا هذا الأمر؟" تراجع "تقدموا بطلب وسندعمكم، والسلاح السوفياتي تتخلصون منه"..

قلت له "ان السلاح السوفياتي يصبح سوريا بأيدي سورية.. المهم ليس المصدر، ولكن الانسان الذي يستخدمه والى أين يوجهه" "ولكن السلاح يحتاج الى خبراء وستجدون أنفسكم تتورطون أكثر وأكثر" تصوري! سلاح كلفنا ملايين الليرات نرميه لنشتري من أميركا! قلت له "ماذا نفعل بالسلاح الذي عندنا؟" "تبدلونه بسلاح أميركي أفضل". "أتدفعون لنا؟ " "نفعل" "اذا كان الأمر هكذا فنحن نقبل".

لم يكن يتصور مثل هذا التوفيق، جاء يرشو ضباطا صغارا في الجيش فاذا به يضع القيادة في جيبه.. وكان نظام الدين وعزيز عبد الكريم في دهشة كبيرة يغلب

عليها الرضى.. ماذا حدث للشباب؟ هؤلاء الذين كان عملاء السعودية يصفونهم بالصلابة وبأنهم خطرون، ها هم أمامه شباب طيبون ..

رفع عن رأسه الكوفية والعقال ورماهما جانبا وقال منفعلا "اتفقنا. سأذهب الى بيروت، وأعود لأبحث التفاصيل". علمنا أنه كان يريد أن يخابر الملك ويخشى أن يفعل ذلك من عندنا ويكون تحت المراقبة. تركناه يذهب لتكون الصفعة فيما بعد ذلك أوجع. عاد في اليوم التالي. "دعونا نسجل النقاط نقطة نقطة" أمسك ورقة "أولا تتخلصون من السلاح السوفياتي. ثانيا تدعمون حسين في انقلاب الزرقا". كان الملك حسين قد أقال جلوب وعين حكومة سليمان النابلسي الوطنية. الأردن كانت تطرد الاستعمار البريطاني وتحل محله الاستعمار الأميركي، كما فعلت مصر من قبل، وكانت الحكومة الوطنية مرحلة انتقال بين الاستعمارين، والآن وهو يقوم بانقلاب عليها، تريد منا السعودية أن ندعمه.. تذكرين يوم التجأ الدكتور عبد الرحمن شقير ورفاقه الينا. تصوري أنه كان علينا أن نسلمهم حينذاك!.. "ثالثا، تنضمون الى حلف بغداد (لاحتواء الحركة الوطنية في سوريا بالرغم أن السعودية كانت تكره أية وحدة بين العراق وسوريا. وكان الحلف حينذاك انجليزيا ولكن أميركا كان لها إشراف عليه قبل أن تفصم علاقتها به) لم يبق الا أن يقول "تصالحوا مع اسرائيل!".. تقاطرت النقاط، كلها انحراف خياني عن الخط الوطني. وأخيرا! "أعطني الورقة كي نتدارسها فيما بيننا".

أخذتها وطويتها بعناية ووضعتها في جيبي. "هكذا إذن! هذا ما تريدونه منا. ألا تدرك الخيانة التي تنحط الى دركها؟ أنت سوري قبل أن تكون سعوديا. ماذا نفعل لكم؟ لماذا تطعنوننا من الخلف ونحن الذين ننفق مالنا ونهدر دمنا كي نحميكم ونحمي ثرواتكم. أتظن أننا لا ندري بما تفعلونه من رشوة الجيش وإفساده والتآمر علينا؟ "صمت لم ينطق بكلمة. قلت له "هل أنت مسلم ؟ "نعم" "وتؤمن باليوم الآخر؟" "ان الله سيأتي بك وبمليكك يوم القيامة ويصب الذهب المصهور في فيك وفيه، هذا المال الذي تسرقونه من أفواه الشعب الجائع وتبددونه في مواخير أوروبا وفي دعم كل خيانة. أنت وحدك لديك حي بكامله في الاسكندرية هو ملكك، وما كنت قبل أن تذهب الى السعودية الا معلما ابتدائيا في مسقط رأسك سوريا. أخرج من هنا على التو، في هذه اللحظة.. وان شوهدت بعد أربع وعشرين ساعة في البلد أقبض عليك وأجعلك تمشي سيرا على الأقدام الى الحدود مخفورا بالشرطة.

ذهبت الى شكري بك وأريته الورقة بخط يوسف ياسين "هذه هي السعودية. أنظر ماالذي تساومنا عليه! " قلبها وتمتم "لا حول ولا قوة الا بالله"!

- ويوسف ياسين ألم يرد بشيء يدافع به عن نفسه؟

- أبدا! كان يبدو بفمه الفاغر وعينيه الغائبتين كمن انقضت على رأسه ضربة طاش بعدها. سمعت أن أموره لم تستقم بعد هذه الحادثة في السعودية. قيل أن الملك سعود عنفه بقسوة وقال له "جعلت صبية يضحكون عليك!" وبعدها زارني سعود

بنفسه وكان معه جمال الحسيني.. تودد الي وكنت لطيفا معه. حدثته عن موقفنا ورؤيتنا. ولعلي أثرت فيه. وأنا بدوري أحسست بالشفقة عليه. رجل ساذج محدود الفكر. وجاءني صلاح البيطار بعد هذه الزيارة الودية وقال لي "ان سعود يحبك، انه يمدحك في كل مجلس ويقول عنك بأنك رجل وطني، شجاع وصريح ..

* * *